بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة التاسعة

البيان العلمي للعقيدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذه هي المحاضرة التاسعة أيها الإخوة والأخوات في سلسلة محاضراتنا حول بحوث العقيدة الإسلامية وقد أنهينا في آخر محاضرتنا السابقة الحديث عن كل ما يجب على المسلم أن يعرفه وأن يستيقن به وقد عرفنا أن ذلك كله قائم على دعائم العلم وأن الإسلام الذي هو دين الله عز وجل ليس خطاً ثانياً مستقلاً عن خط العلم بل هو الثمرة القدسية الأولى لشجرة العلم والمرحلة العلمية في فجاج الحياة ولكنا عرضنا بعد هذا لمسألة هامة وهي أن الإنسان إذا آمن بعقله بالله عز وجل وحصّن إيمانه هذا بكل دلائل العلم فإن النتيجة التي يحصل عليها هي قناعة العقل فما الذي يبقى بعد ذلك يبقى بعد هذا اصطباغ الوجدان والقلب وهذه هي النقطة الهامة في حياة المسلمين فإذا بقي الإسلام يقيناً محبوساً في ساحة العقل ولم يصطبغ بهذا اليقين القلب من حيث إنه وجدان عاطفة فإن هذا الإيمان لا يحرك ساكناً في حياة صاحبه ولا يمكن أن يقوى على تبديل سلوكه وتوجيهه أي وجهة صالحة يأمر بها دين الله عز وجل لأننا نعلم أن الدوافع الأقوى في كيان الإنسان تتمثل في العواطف الدافعة والرادعة والممجدة ومكانها من حياة الإنسان القلب أما اليقين العقلي الأعزل المجرد عن العواطف فإنه لا ينهض بصاحبه إلى أي سلوك وهذا هو تفسير ما نرى في كثير من الأحيان ولدى كثير من الناس من ازدواج في الشخصية والسلوك ترى أحدهم موقناً بعقله بكل ما آمن به العلماء الربانيون ولكنك تنظر إلى سلوكه في الحياة فتجد سلوكه مناقضاً لإيمانه هذا لماذا انشطرت شخصيته بهذا الشكل لأن إيمانه بقي حبيساً في ساحة عقله أما عواطفه ووجدانه فقد بقيت مستعمرة لشهواته وغرائزه والآن ما السبيل إلى أن نجعل الإيمان بالله عز وجل يهيمن على القلب والوجدان بعد أن هيمن على العقل والإدراك ما سبيل ذلك سبيل هذا أيها الإخوة والأخوات أن ننمي إيماننا هذا بعد أن غرسناه في ساحة العقل أن ننميه بغذاء واحد لا ثاني له لهذا الإيمان العقلاني غذاء كما أن للجسم

غذاءه فما هو غذاء الإيمان هذا هذا الغذاء يتمثل في الإكثار من ذكر الله عز وجل والإكثار من مراقبة الله وصفات الله سبحانه وتعالى وفي الإكثار من فكر المنعم عز وجل مع فطم الفم عن المال الحرام جهد الاستطاعة ومع التحرز جهد الاستطاعة عن المحرمات فكيف يكون هذا لا بد أن نقول كلمة ولو كانت موجزة في هذا الصدد ماذا نعني أولاً بذكر الله عز وجل بعد أن آمنت عقولنا بالله سبحانه وتعالى لست أعني أيها السادة بذكر الله الحركة التي يدور بها اللسان ككلمة سبحان الله سبحان الله دائماً ولست أعني بها حركة السبحة باليد كل هذه آثار للذكر وليست هي الذكر الحقيقي الجوهري المراد بذكر الله عز وجل أن لا يكون القلب غافلاً عن الله سبحانه وتعالى وانظروا إلى هذا المعنى كيف يتجلى في قول الله عز وجل (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) أمرنا الله بالذكر وأوضح لنا أن مراده بالذكر أن نذكر الله في أنفسنا أو في قلوبنا وأن لا نكون من الغافلين ولكن اللسان بريد القلب وأداة الفؤاد فلا ضير بل يحسن أن يتحرك اللسان ويلهج بشيء من التسبيح أو الإستغفار أو الحمد أو التهليل يلهج اللسان بهذا فإن حركة اللسان هذه إذا استمرت توقظ القلب فكأن اللسان مفتاح ليقظة القلب هذا الذكر هو الذي يجعل الإسلام يسري من القناعة العقلية إلى الهيمنة الوجدانية ويربي في كيان الإنسان معنى من معاني التعظيم لله عز وجل وشعوراً بالحب لله سبحانه وتعالى وإذا عرفنا هذا فلنعلم أن الفرق بين ذكر الله وبين مراقبة الله عز وجل فرق بسيط جداً مراقبة الله سبحانه وتعالى هي أن يظل الإنسان متذكراً أن الله يرى أعماله يرى تصرفاته يرى خطرات نفسه لكي يأخذ الحساب لنفسه من ذلك ولكي يتقي حساب الله غداً إن إذا وقف بين يديه وذكره بهذا كله فالمراقبة ثمرة من ثمار ذكر الله سبحانه وتعالى ويتصل بهذا المعنى أيضاً شكر الله عز وجل شكر الله ما هو لون آخر من لون الذكر أن أربط تذكري لله عز وجل بنعمه التي تتوالى عليه أن أجعل رابطة بين النعم التي تغمرني وبين المنعم وهو الله عز وجل فلا أعيش مع النعمة وأنسى المنعم لا أتقلب في الفضل وأنسى المتفضل هذا هو الشكر وهو بدوره نوع آخر من أنواع الذكر وأحب أن ألفت النظر محذراً إلى أن لا تتصوروا المعنى التقليدي الذي يفهمه كثير منا لذكر الله عز وجل وهو أن نقول بالمناسبات نشكر الله نحمد الله سأله صديقه كيف حالك يقول نشكر الله الحمد لله هذا الكلام التقليدي لا يعني أن هذا الإنسان شاكر لو كان هذا شكراً لكان الناس كلهم شاكرين لأنها كلمة تقليدية تدور على لسان كل إنسان ولكن الله يقول (وقليل من عبادي الشكور) معنى هذا أن الشاكرين لله قلة وهذا يعني أن الشكر شيء آخر

غير هذه الكلمات التقليدية التي تدور على الألسن شكر الله عز وجل أن أربط دائماً كل نعمة تفد إلي من الله أربطها بالباري سبحانه وتعالى وأتذكر فضل الله علي في ذلك فكيف يتم هذا لننظر عُدْ إلى نفسك يا أخي وانظر في كيانك هل أنت الذي تتصرف بنفسك وأنت الذي رعيت كيانك فيما يعد من مقومات الحياة ومقومات العيش الرغيد ستجد أن الجواب القاطع لا فأنت لا تستطيع أن تفعل شيئاً وإنما أنت كطفل صغير في المهد ترعاه أمه وتحنو عليه أمه ولو انقطع رِفْدُ أمه عنه ساعة واحدة ربما هلك فأنت كذلك أنت في مهد الله عز وجل وفي قبضة الله سبحانه وتعالى إن جلست إلى الطعام فالطعام الذي تجمّع على المائدة أمامك عصارة الفضل الإلهي إذ سخر لك سماءه فأمطرت وأرضه فأنبتت والأنعام ففاضت دروعها باللبن ثم إن الله عز وجل ساغ ذلك لك كله طعاماً لذيذاً مغذياً مفيداً فهذه نعمة وافدة من الله أما ينبغي أن يشعر قلبك بفضل الله وبكرمه عليك وإذا وضعت اللقمة في فِيك لتمضغها فاذكر أن الذي يُقدرك على إساغتها هو الله لولا هذه الغدة اللعابية التي تحت لسانك والتي تمدك بينبوع مستمر من هذا الماء العذب لاختنقت باللقمة ومت بها بدلاً من أن تغذيك وتمد حياتك بحياة واذكر أن الذي يجعلك تستطيع أن تمضغ هذا الطعام في فمك هو الله عز وجل ولو وكلك إلى نفسك لقضمت لسانك وأن تطحن مضغة اللحم في فمك فمن الذي يقي لسانك من هذا هو الله عز وجل تذكر إذا ابتلعت اللقمة واتجهت إلى نافذة الطعام بعيدة عن نافذة الهواء تذكر أن الذي يحميك من الاختناق ثانية هو الله عز وجل تذكر أن الذي أورثك هذا الوعي في فكرك إنما هو الله وعندما يشاء أن يستلب منك هذا الوعي تغدو مجنوناً لا قيمة لك بين الناس وتفكّر وتصوّر أن الذي يمدك بالقوة والعافية في نفسك وكيانك هو هذا الإله الرحيم بك وعندما يشاء أن يستلب منك هذه العافية يبتليك بأمراض لا نهاية لها ويسلط عليك جراثيم هي ملء الكون من حولك ولو شاء الله عز وجل لاستلب منك القوة فأمسيت قوياً تتباهى بقوتك ثم أصبحت مشلولاً لا تستطيع أن تبارح فراشك وإذا قمت فسعيت ومشيت تذكر أن الذي يقيم جذعك ويجعلك متوازناً أثناء السير هو الله لو شاء الله لجعلك تترنح تخلى عنك وإذا بك تترنح وتسقط يميناً أو شمالاً من الذي يقيك من هذا كله هو الله عز وجل انظر إلى ما يسميه الأطباء بالحركات الانعكاسية التي تحميك من العاهات ومن الأخطار دون أي تدخل من عقلك انظر إلى عِظَمِ فضل الله إذ حماك بهذا الذي يسمونه الحركات الانعكاسية تكون سائراً في طريقك وإذا ببعوضة صغيرة جداً جداً تتجه إليك وكأنها السهم المصوب إلى عينك فتغمض عينك دون شعور منك ولو أنك فكرت

وقدّرت قبل كل شيء هل هذا الخطر وافد إلى عينك أم إلى جهة أخرى لدخلت البعوضة عينك ولأعمت عينك ربما ولكن الله يحميك قبل أن يفكر عقلك وتأمل عندما تكاد أن تزل بك القدم ذات اليمين ما الذي يجعلك تمد يدك هكذا ذات اليسار وأنت لا تفكر في تلك الحالة أبداً عناية من الله عز وجل تحميك وتصور بعد هذا كله الكون الذي من حولك كيف جعله الله فُلكاً يدور على رعايتك والعناية بك فإذا عشت دائماً وأنت تتصور علاقة النعم بالمنعم وأنت لا تملك لها جذباً ولا رداً فإن هذا الشكر وهو معنى قول الله عز وجل (لئن شكرتم لأزيدنكم) ولسبب هذا كان الشاكرون قليلاً فقال (وقليل من عبادي الشكور) إذا شكرت الله بهذا المعنى ودام بك الحال أورثك هذا الشكر حباً عظيماً لله وعشقاً غامراً لذات الله سبحانه وتعالى وهكذا يتحول الإيمان شيئاً فشيئاً من اليقين العقلي إلى الاصطباغ الوجداني فيشعر قلبك بحب الله ويشعر قلبك بتعظيم الله بالرهبة والهيبة من الله سبحانه وتعالى ثمرة ماذا هذه الحال ثمرة الإكثار من ذكر الله بالمعنى الذي قلت وثمرة مراقبة الله وثمرة الإكثار من شكر الله سبحانه وتعالى وأريد أن ألفت نظركم إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام علمنا نوعاً يسيراً من الشكر كلٌ منا يستطيع أن يكون شاكراً بهذه الطريقة الجميلة البسيطة التي كان يثابر عليها رسول الله وكان يعلمنا من خلال مثابرته ذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام لا يتقلب من حال إلى حال من أحوال الكرم الإلهي إلا وينطق لسانه بشكر الله على هذه الحال الجديدة فإذا اضطجع في فراشه لينام شكر الله وقال لأنه أمام رقاد ((اللهم إني أسلمت نفسي إليك وألجأت ظهري إليك وفوضت أمري إليك رهبة ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت اللهم إن أمسكت روحي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)) ثم يغمض عينه وينام وهو يتذكر فضل الله هذا الرقاد لست أنت الذي تصنعه الله هو الذي يكرمك به وإذا استيقظ الرسول عليه الصلاة والسلام عاد فشكر الله على الحال الجديدة وقال ((الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور)) إذا دخل الخلاء قدم رجله اليسرى وشكر الله عز وجل وقال ((اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)) فإذا خرج قال ((غفرانك غفرانك غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني)) شكراً جديداً على نعمة جديدة وإذا وقف أمام المضأة ليتوضأ تذكر نعمة جديدة هذا الماء العجيب كرم إلهي غريب وما قلل من قيمة هذه النعمة كثرتها ولكن الإنسان كفور بنعم الله يرى هذه النعمة كثيرة في كل مكان فينسى الفضل ولكن الإنسان لو حرم الماء في داره أربعة وعشرين ساعة لعادت حياته عفونة لا تساوي شيئاً

يقف رسول الله أمام المضأة ليغسل يديه ويتوضأ فيقول ((الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً والإسلام نوراً اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون)) إذا جلس على المائدة أيضاً حمد الله حمداً يليق ببدء الطعام وإذا انتهى من طعامه وشبع حمد الله حمداً جديداً يليق بهذه الحال ((الحمد لله الذي أطعمني وسقاني وسوغه وجعل له مخرجاً من غير حول مني ولا قوة)) وإذا ارتدى ثيابه شكر الله شكراً يتناسب مع هذه الحال وإذا خرج من داره ومشى نعم بخطا وئيدة فوق الأرض حمد الله وشكر الله على هذه الحال أيضاً هذا هو العلاج الذي يجعل الإيمان يربو وينمو هذا هو الغذاء الذي يجعله يشرق على القلب بعد أن أشرق يقيناً على العقل فإذا هيمن الإيمان على القلب تحول الأمر إلى حب وإلى تعظيم وإلى خوف من الله عز وجل فتحققت عوامل السلوك المتفق مع ما يأمر به الله سبحانه وتعالى ثم إن أخذ الإنسان نفسه بهذه الوظيفة يحقق شيئاً آخر أيها السادة يغفل عنه كثير من الناس يحقق في كيان الإنسان السعادة والسرور والفرح ويبعده عن الكرب وعن كل معاني الضيق النفسي هذا المعنى يجب أن تعلموه ويجب أن تدركوا أن له أبعاداً علمية قبل أن تكون له أبعاد ومعاني دينية فما تحليل ذلك تحليل هذا كما قلت في إحدى المحاضرات السابقة أن الإنسان هذا الإنسان مكون من ثلاثة عناصر من الجسد ومن الغريزة النفسية الشهوانية وهي قاسم مشترك بين الإنسان وسائر الحيوانات الأخرى هذه الغريزة التي تُشعر الإنسان بالرغبة في الطعام في الشراب في المأوى في التجمل في الجنس في التباهي والتنافس مع الآخرين والتي تجعله يشعر بالحقد في بعض الأحيان بالضغينة بالحسد كل هذا ينبع من شيء اسمه الغريزة النفسية الشهوانية في كيان الإنسان العنصر الثالث الروح وهو السر الذي أنبأنا به الله عز وجل وأخفى تحليله عنا هذه الروح منسوبة إلى الله عز وجل وليست من هذا العالم المادي قضى الله أن تهبط فتحبس في هذا القفص الجسدي إلى حين وانظروا كيف نسب الله الروح إلى ذاته روحنا نحن فقال للملائكة (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) هذا هو الإنسان ثلاثي التركيب والإنسان متى يسعد يسعد إذا أكرم كلا هذين الضيفين الوافدين في كيانه وأعطى كلاً منهما غذاءه النفس الغريزة الشهوانية تتطلب حاجاتها نعطيها حاجاتها الروح التي هبطت إلى هذا الجسد فحبست فيه لها أيضاً رغباتها ولها حاجاتها يجب أن نقدم لها هي الأخرى حاجاتها وبذلك يتم التوازن بين قوة الروح وهي حقيقة موجودة في كيان الإنسان وبين قوة النفس والغريزة ويتم من خلال ذلك الصلح بينهما فيسعد الإنسان بهذا يشعر بالسرور يشعر بالفرح هذه الروح ما غذاؤها قلت إنها ليست منتسبة إلى هذا العالم الأرضي فهي لا

تأنس لا بطعام ولا بشراب ولا تركن إلى نعيم من النعيم المادي ولا إلى العلاقات الجنسية ولا إلى شيء من هذا القبيل إنما الذي يسعدها أن تمتن صلتها بالعالم الذي هبطت منه هبطت إليك من المحل الأرفع كما يقول ابن سينا هذه الروح افتح نافذة بين جسدك وبين السماء التي هبطت الروح منها بذلك تنتعش وبذلك تسر الروح وبذلك تبقى صلتها مستمرة بينها وبين العالم الذي هبطت منه لكن كيف نفتح لها هذه النافذة هذه النافذة تفتح بما قد قلته بالإكثار من ذكر الله عز وجل بالإكثار من حمد الله بالإكثار من شكره بالقيام إلى العبادات التي أمر بها الله سبحانه وتعالى فإن أنت فعلت ذلك ابتعد ضباب النفس عن هذه الروح وابتعدت أغشية النفس عن مكان الروح من كيانك وجسدك وأتيح لها أن تطل وهي في جسدك هذا أتيح لها أن تطل إلى عالمها الذي وفدت إليك منه وكل ما استمر بك الحال على هذا ذاكراً شاكراً عابداً متبتلاً كلما قويت الروح وانتعشت أكثر هذه الانتعاشة للروح هي غذاؤها وإذا استمر الأمر على هذه الحال فإنك تشعر عندئذ بنوع من السرور لا يستطيع الإنسان أن يصفه لأن هذا السرور هو شعور الروح وهذا السرور آتٍ من معنى قدسي جليل ولكن فاعلم أنك لو عكست الأمر لو أهملت الروح هذه فلم تذكر الله لم تشكر الله لم تناجي الله بشيء من التبتل والعبادة وعدت فأمعنت في تذليل نفسك وغرائزك ومتعتها بكل ما تشتهي فإنك ستخدع تظن في بادئ الأمر بأنك بهذا تنسج أسباب السعادة لذاتك ولكنك ستفاجأ بأنك تأكل نعم وتتمتع وتتقلب في النعيم ألواناً ومع ذلك فأنت تشعر بضيق أنت تشعر بكآبة أنت تشعر بأن شيئاً كالران جاثم على صدرك والذين يعانون من هذا البلاء هؤلاء المساكين ماذا يصنعون يفرون من هذه الكآبة إلى مزيد من أسبابها لأن الواحد منهم يخيل إليه أن كآبته آتية من أنه لا يُمتع نفسه كثيراً من أنه لا يتفنن في النعيم والترف والملهيات وحاجات الجسد كثيراً فيذهب ويتفنن في التمتع وربما قفز إلى أنواع من الشذوذ كما تعلمون أملاً في أن يتخلص من كآبته وأملاً من أن يتخلص في أن يتخلص من ضيق صدره لكنه لا ينتقل من ضيق إلا إلى ضيق ولا ينتقل من كآبة إلا إلى كآبة أشد ودونكم فانظروا إلى حياة الغربيين خير مثال يوضح هذه الحقيقة هذا هو الذي يدفع كثيراً من هؤلاء الناس إلى الانتحار والذين ينتحرون في ربوع الغرب أمريكا أو أوربا ليسوا من الفقراء الذين ابتعدوا عن المتعة والنعيم لا على العكس هم من المنعمين المترفين ذلك لأن هذا الكرب الذي أتحدث عنه أطبق عليهم فكان مآلهم أن تخلصوا من هذه الحياة التي لم يستطيعوا أن يتخلصوا من الكرب فيها ما سبب ذلك سبب ذلك أن هذا الإنسان الأبله المسكين التفت إلى عنصر فقط في كيانه الإنساني نسي العنصر

الآخر نسي الروح وهي موجودة في كيانه تشرق على دماغه عقلاً وتشرق على قلبه عواطف وتشرق وتتسلل إلى خلايا جسده شعوراً موجود هذا الإنسان أهمل الروح وأمعن في تمتيع الجسد فلما استمر الأمر على هذه الحال ضاقت الروح ذرعاً بهذه الحال وضاق عليها سجنها هذا وأطبق عليها الكرب فتحول هذا شعوراً إلى الإنسان هذا التحليل تحليل علمي أيها الإخوة تحليل حقيقي ولذلك انظروا إلى هذا الإنسان الغربي بمجرد أن يهديه الله عز وجل إلى الإسلام وبمجرد أن يعانق عقله دين الله عز وجل وأن يلهج بشيء من ذكر الله وعبادة الله ووضع الرأس ساجداً لله إذا به قد انتعش وإذا بهذه الكآبة قد زايلته وابتعدت عنه وإذا به بدأ يشعر بالراحة والطمأنينة والسرور سلوهم سلوهم إن كنتم لا تصدقون بل أنت نفسك جرب هذا وذاك فلسوف تجد مصداق ما أقول هذا معنى قول الله سبحانه وتعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) يحييه الله عز وجل حياة طيبة منعشة سعيدة في دار الدنيا قبل الآخرة ثم يجزيه ثواباً يوم القيامة بعد ذلك وانظروا إلى هذا المعنى أيضاً في قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) تلك هي الحياة التي نتكلم عنها فإذا عاش الإنسان حياته بهذا الشكل أدرك دلائل الإيمان بالله أولاً بالعقل والعلم مفتاح غرس الإيمان العلم إسلامنا لا يفد إلى الكيان إلا عن طريق العلم لكن لا بد بعد هذا من أن نبدأ مشروعاً طويل الأمد في تغذية هذا الإيمان وسبيل التغذية ما قلت لكم وهذه التغذية هي التي تعطي ثمار الإيمان في كيان الإنسان إذ يتحول من قناعة عقلية إلى حب إلى تعظيم إلى مهابة ثم إلى سعادة غامرة تشيع في كيان الإنسان هذا هو الأمر الأول الذي قلنا لابد أن نختم محاضراتنا هذه الأمر الأول من أمرين لابد أن نختم محاضراتنا هذه بهما ذكرنا الأمر الأول الأمر الثاني ما هو هو أن نعلم أن ثمرة هذا الإيمان الذي استقر في العقل ثم هيمن على القلب ثمرته أن نقف تحت مظلة حكم الله طائعين خاضعين راضين وأن نعلم يقيناً أن الحاكمية في هذا الكون إنما هي لله سبحانه وتعالى فهو الحاكم ونحن عبيده له أن يأمر بما يشاء وينهى عما يشاء وليس علينا إلا السمع والطاعة هذه هي ثمرة الإيمان بالله عز وجل في حياة الإنسان من حيث السلوك الظاهري وانظروا في هذا إلى قول الله سبحانه وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) ربط البيان الإلهي بين الإيمان والخضوع لحكم الله سبحانه وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ولكن مع هذا ينبغي أن نعلم بل أن نتساءل ما سر أن الله عز وجل وجه إلينا هذه الأوامر وهذه النواهي وألزمنا

بالسلوك السبيل إلى تنفيذ أوامره والابتعاد عن نواهيه الله رحيم بعباده لقد آمنا به وكفى فلماذا لم يتركهم يعيشون حياتهم كما يشاؤون ويتحاكمون إلى الأنظمة التي يحبون وهذا يتناسب أكثر مع حب الله لعباده ورحمته بهم هذا السؤال نطرحه فما الجواب عنه الجواب أن الله عز وجل عندما وجه إلينا أوامره بيّن من خلال ذلك دليلاً جديداً على حبه لنا وعلى رحمته بنا وعلى فضله علينا هذه الأحكام التي وجهها إلينا لم يوجهها من أجل أن يحمّلنا بها عنة ومن أجل أن يسيّرنا في طريق العسر بدلاً من طريق اليسر لا كيف والله هو القائل (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وهو القائل (ما جعل عليكم في الدين من حرج) هذه حقيقة معلومَة لا إشكال فيها فلماذا أمرنا بما أمر ونهانا عما نهى الحكمة من ذلك أن الإنسان وافد إلى هذه الحياة ولا بد أن يتعامل مع الأرض والكون ومع أخيه الإنسان من أجل أن يسعد من خلال تعامله بهذا ولكن الإنسان عاجز عن معرفة السبيل الأمثل في تعامله مع الكون والإنسان والحياة حتى يقطف من وراء هذا التعامل ثمار السعادة لو أنه كان عالماً بالسبل السليمة التي تقيه مغبة الشقاء لتركه الله لما يحب ولكن الإنسان جهول والإنسان ما أوتي من العلم إلا قليلاً لحكمة نعم فمن أجل هذا اقتضت رحمة الله بالإنسان وقد أوفده إلى هذا الكوكب الأرضي وأسكنه ضيفاً إلى حين في هذه الأرض اقتضت حكمته أن يقول له يا ابن آدم انظر إلى الدار التي تسكنها أي الأرض هذه هي مرافقها هكذا تستعمل هذه الغرفة هكذا تستعمل هذا الأساس هكذا تستعمل مرافق الدار هكذا تفتح صنابير المياه هكذا تفعل إن داهمك حر وهكذا تفعل إن واجهك برد إذا شعرت بعدو داهم فاتخذ الوقاية منه بالطريقة التي تراها هكذا هذا الإنسان وافد إلى هذه الأرض لا يعلم من طبيعتها شيئاً فكان من تتمة فضل الله عليه أن أسكنه الأرض وأرسل إليه الهدى كما قال (فإما يأتينكم مني هدىً فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) هذا الهدى تعليم للإنسان بالطريق الأمثل للتعامل مع الأرض والكون والحياة حتى لا يقع في شقاء يفاجأ به وحتى يجد السعادة المستمرة الكاملة في فجاج حياته فالمسألة تماماً أيها السادة كذاك الذي استقبل ضيفاً عزيزاً عليه وآل على نفسه أن يكرمه إكراماً كبيراً فأدخله داراً يجلس فيها مستقلاً كان لا بد أن يعرفه على الدار كان لا بد أن يعرفه على كيفية استعمال كل شيء في الدار في كل ما يحتاج إليه كان لا بد له من هذا أفيمكن للعاقل أن يتصور أن صاحب الدار يفرح ضيفه بهذا وأنه يضيّق عليه وأنه يقيده ويأسر حريته هذا غير وارد إطلاقاً فإذا عزّ عليكم أيها الإخوة أن تفهموا أن أحكام الله سبحانه وتعالى إنما هي رحمة بالإنسان وتيسير لسبيل سعادته في الحياة إذا عزّ عليكم أن تعلموا هذا فانظروا

إلى الكون الذي سخره الله للإنسان ألا ترى كيف سخر الله لك الماء سخر لك الأرض فجعلها عروقاً تجري فيها شبكة المياه من أجل مصلحتك ألا ترى كيف سخر الله لك سماءه ألا ترى كيف سخر الله لك حركة الأفلاك ليتكون الزمن وأجزاء الزمن ألا ترى كيف سخر الله لك الطعام جعل مذاقه عذباً وجعله مفيداً لك ألا ترى كيف دللك بالفاكهة والثمار في كل فصل من الفصول لوناً يتناسب مع هذا الفصل ألا ترى كيف أنك مدلل على الله من خلال الكون الذي أقامك فيه هذا الدلال الذي تتمتع به من الله يجعلك تتيقن أن الشريعة التي أرسلها لك تتمة هذا الدلال كيف يمكن أن تتصور أن يكرمك الله ويدللك ويرعاك في أرضه التي أقامك عليها بكل أصناف الإكرام ويرعاك بكل لحظة وأتم ما تكون الرعاية كيف ترى هذا ثم تتهم الله إذا أنزل لك شرعاً فتقول إن هذه قيود والله إن الطفل لا يصل إلى هذا الغباء الطفل عندما يرى من أمه التحنان المتناهي والرعاية المتناهية ويستقر في ذهنه هذا التعامل منها له لا يتهمها عندما يفاجأ منها بأوامر مرهقة عندما تقول له اشرب هذا الدواء المر عندما تقول له لا تفعل كذا الطفل يعلم أن أمه هذه تريد به الخير ولو سأله إنسان ما دليلك على هذا لقال ما رأيت من أمي منذ أن نشأتني إلى اليوم إلا الرعاية والتحنان فكيف أتهمها بأنها في أوامرها ونواهيها تريد لي السوء إذا كان الطفل يعلم هذه الحقيقة فكيف لا يعلم هذه الحقيقة الإنسان العاقل العالم البصير الذي آمن بالله ورحمته ورأى دلائل كرم الله وفضله وأين مدى كرم الله وفضله ورحمته من كرم الأم ما رحمة الأم إلا انعكاس من رحمة الله سبحانه وتعالى هذه هي الحكمة من شرع الله عز وجل فإن قال قائل ولكني لا أعلم لماذا حرّم علي الخمر لماذا حرّم علي لحم الخنزير لماذا حرّم الفاحشة لا أعلم وأنا أشعر فيما توحي إلي به نفسي أن هذا شيء طيب وشيء حسن ماذا نقول ألم تؤمن بالله ألم يسبق أن آمنت بأن الله حكيم إن كنت قد آمنت به إيماناً تاماً فلا شك أنك ستؤمن بقوله عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ونعود إلى مثال الطفل الطفل هو الآخر له الحق إذاً أن يقول كما تقول إنني لا أشعر أن هذا الدواء مفيد لأنه مر والمرُ ضار هذا منطق الطفل لكن الطفل يسمو فوق شعوره الطفولي ويعلم أن أمه تدرك أكثر مما يدرك وتعلم أكثر مما يعلم هذه الحقيقة لا بد من أن ندركها إدراكاً تاماً لكن ما معنى قولنا الحاكمية لله عز وجل كثيرون هم الذين إذا ذُكِرُوا بالحاكمية والحكم الإسلامي اتجهت أبصارهم وبصائرهم فقط إلى نوع واحد من الحكم هو الأحكام الإسلامية التي تتم في وزارة العدل في المؤسسات الحكومية والتي يرعاها القضاة والتي تتمثل في القوانين والدساتير هذا ما

يتصوره كثير من الشباب في هذا العصر أما حكم الله في البيوت فينسونه أما حكم الله عز وجل فيما بين المرء ونفسه فينسونه أما حكم الله عز وجل فيما يتعلق بالإنسان وخاصته فينسونه أما الشوارع وما يشيع فيها من منكرات وما يجب أن يفعله الإنسان في نطاق الأمر بالمعروف مع الناس جميعاً فينسونه ويذكرون شيئاً واحداً فقط وهو أن القانون الذي يطبق على المجتمع باسم الدولة ينبغي أن يكون قانوناً إسلامياً هذا خطأ كبير تطبيق القانون الإسلامي على المجتمع شريحة من شرائح الحكم الإسلامي جزء من أجزاء وهو جزء يسير من أجزاء الحكم بل أقول هو الجزء المتمم لا الأول الحكم الإسلامي يبدأ بعلاقة الإنسان مع نفسه يحكم على نفسه بما أمر الله ويفطم نفسه عما حرّم الله هذا أول خطوة في تثبيت حاكمية الله في الأرض الخطوة الثانية أن يكون الإنسان قوّاماً على دين الله عز وجل في أسرته يرعى حرمات الله في داره فيأمر زوجه أولاده أسرته بناته بما أمر به الله سبحانه وتعالى وينهاهم عما نهى عنه الله عز وجل ويربيهم التربية الإسلامية الراشدة هذه هي الخطوة الثانية في طريق إقامة حكم الله سبحانه وتعالى هذا البيت المسلم إذا لم ينهض على هذا الأساس فلا يمكن أن تتحقق الخطوة الثالثة ما هي الخطوة الثالثة هي أنني إذا اصطحبت الناس فعلى أساس من مقاييس الدين أصطحبهم وإذا اجتمعت معهم في نادٍ في دارٍ في مكان في سهرة فعلى أساس من رعاية شرع الله أصاحبهم هذه الخطوة الثالثة الخطوة الرابعة رعاية القمة رعاية القانون العام الذي ينبغي أن يكون مصطبغاً بأوامر الله ومتفقاً مع دين الله سبحانه وتعالى إذن يخطئ كثيراً الذين ينسون أنفسهم وينسون بيوتهم وينسون أصدقائهم وعلاقاتهم الشخصية مع الناس ثم يضعون المناظير المكبرة للقانون والدستور هل تقطع يد السارق هل يرجم الزاني هل تقام الحدود تماماً كما أمر إذن المجتمع مسلم لا يقام شيء من هذا إذن المجتمع غير مسلم هذا غلط كبير من هذا التصور أرعن عجيب جداً لا يمكن للمجتمع أن يصبح مسلماً على هذه الطريقة ما دمنا غافلين عن بيوتنا غافلين عن علاقاتنا الشخصية غافلين عن تهذيب كل منا لنفسه فإن انعكاسات هذا الضياع ستطفح على القمة ولسوف يكون القانون العام ضباباً تجمع من هذا الواقع الشاف إذن لا بد أن نفهم أن السعي إلى تثبيت الحكم الإسلامي سعي كلي يبدؤه المسلم جزءاً فجزءاً فجزءاً وما أكثر الذين أراهم في كثير من الأحيان يتحدثون عن القوانين وضرورة كونها إسلامية ثم أطل على بيوتهم أو أحتك بالواحد منهم في داره أو اسمع وإذا بهذا الرجل بعيد كل البعد عن الإسلام في داره فلا هو يعامل زوجته معاملة إسلامية ولا هو يقيم شرع الله في داره ولا هو يرعى التربية التي أمر الله بها تربية الأبوين للأولاد ثم إنه إذا خرج من داره وجلس

تحمّس وتفنن في الكلام عن ضرورة تطبيق الحكم الإسلامي يا أخي لماذا لا تطبق الإسلام في دارك دور المسلمين هي شبكة المجتمع الإسلامي وهو النسيج هذا الثوب يتكون من سدة ولُحمة لا بد من جمع السدة مع اللُحمة والنسج وإذا بالنسيج تكامل أحب أن نتبين هذا المعنى وأن ندركه إدراكاً كبيراً أيها السادة بعد هذا نقول ما المعذرة التي يعتذر بها بعض منا عندما نُدعى إلى تطبيق حكم الله عز وجل هنالك أنواع من المعذرة هنالك بعض المسلمين يقولون وأسأل الله أن يكون هؤلاء قلة يقولون إن الله عز وجل أمر عباده بإقامة موازين العدل ولم يأمرنا بأكثر من هذا ولئن أمرنا ببعض الجزئيات فإنما الهدف الوصول إلى تلك الغاية ونحن نحقق موازين العدالة كما أمر الله لكن بالطريقة المتطورة التي نشاؤها فالله أمرنا بالغايات وترك لنا الوسائل إلى الغايات أن نتخيرها ولذلك أنا أقيم قانوناً اقتصادياً عادلاً ولكن هذا القانون الاقتصادي يتطور مع الزمن فأنا أختلق وأبدع القانون الاقتصادي الذي أراه وألزم نفسي بأن يكون هذا القانون عادلاً كذلك قانون العقوبات المهم إشاعة العدالة في المجتمع وليس المهم الوسائل فنحن لا يهمنا أن نطبق الحدود نطبق وسائل أخرى جدت في عصرنا في العقوبات من أجل أن نصل إلى الهدف الذي أمرنا به الله سبحانه وتعالى هذه المعذرة يقولها بعض الناس ويكتبها كثير من الناس فما موقفنا منها هذه المعذرة خداع باطل إن جاءت من أناس مستشرقين أو من محترفي الغزو الفكري وهو خداع إن جاء من أناس ثقافتهم الإسلامية ضحلة ويعانون من بلاهة ما في فهم الإسلام ودين الله سبحانه وتعالى لو كانت شريعة الله عبارة عن أمر بالغايات وترك للإنسان أن يتخير الوسائل كما يحب لو كان الأمر كذلك إذن لكان لكل أمة أن تدعي أنها تحقق شرع الله كل أمة وفئة من الناس مهما كان دينها ومهما كان مذهبها لأن كل أمة تزعم أنها تقيم أساس العدالة كل أمة من الناس تزعم أنها لا تتعرف على الظلم وأنها تحارب الظلم هل هنالك أناس ملاحدة يعترفون بأنهم ظالمون في قوانينهم لا وإذن كان ينبغي أن يترك الله الناس لغاياتهم ووسائلهم هذا كلام باطل لو كنت تستطيع فعلاً أيها الإنسان أن تحقق قانون العدالة وأن تجمع الأسرة الإنسانية تجمع شملها حول قانون العدالة لما كلفك الله بشرع ولكن الإنسان أعجز من أن يكتشف القانون العادل الأمثل الموضوعي المطلق ثم يرعى تطبيقه الإنسان عاجز عن هذا لسببين أولاً أنه لا يعلم لأن الناس مختلفون في أمزجتهم ومشاربهم وألوانهم ثانياً لأن الإنسان بطبعه نزّاع إلى جر النار إلى مصلحته الإنسان نزّاع بالطبع إلى المنافسة مع الآخرين انظروا إلى الذين ابتعدوا عن شرع الله كيف يتهارجون ويتحاربون ويتقاتلون انظروا إلى العالم الغربي كيف يُهدد بالدمار انظروا إلى

الحضارات الغربية كيف شقي بها الناس ويشقون انظروا ماذا أقول لكم لماذا الآن الأسرة الإنسانية عندما تشرد عن ربها فإن كل فرد من أفراد هذه الأسرة يريد أن ينافس صاحبه كلنا سواء في الإنسانية وهكذا تخرب الدار المثل تماماً يمكن أن نصغره بمسألة الأسرة في المنزل أسرة مكونة من طائفة من الأولاد ذكوراً وإناثاً ومن رب الأسرة أرأيتم لو أن رب الأسرة غاب وتناسى الأولاد أن لهذه الأسرة رباً إلام يؤول حالهم كل واحد من هؤلاء الأطفال يحاول أن يسير الأمر كما يشاء والآخر كذلك والآخر كذلك والأقوى هو الذي يتغلب وهكذا تتحول الدار إلى حلبة صراع إلى مكان تهارج لماذا لأن مشاعرهم فرغت عن وجود رب لهذه الأسرة متى تعود هذه الأسرة إلى الوئام إذا عاد رب الأسرة ودخل الإيمان به في قلوب هؤلاء الصغار تجدهم جميعاً خضعوا وتجدهم جميعاً انصاعوا لأمره هذا المثال صغير يكبر إلى أن يصبح بحجم الأسرة الإنسانية على الأرض فإذا تاه الناس عن أن لهم رباً لهذه الأسرة وابتعدوا عن شرعه تهارجوا والتاريخ أكبر شاهد على ذلك إذا عرفنا هذا فإن الله عز وجل لم يكلنا إلى الغايات ويتركنا لتخير الوسائل والأسباب إذن لضعنا في نطاق الغايات والوسائل معاً بل إن الله كما شرع الغايات شرع الأسباب بل أقول لكم إن الله عز وجل ما سيّرنا في الطريق إلى الغايات إلا من خلال شرعة الأسباب والوسائل الجزئية فكان لا بد أن يخبرنا بأن الزنا حرام وبأن الخمر حرام وبأن أكل الخنزير حرام وبأن الغيبة حرام إلى آخر ما هنالك من المحرمات وكان لا بد أن يقول لنا أن النظام الاقتصادي ينهض على هذه الأحكام كيت وكيت وكيت وكان لا بد لنا أن يخبرنا بالشرائع والأوامر الجزئية كلها فإن سرنا في هذا الطريق كان لا بد أن نصل أخيراً إلى ساحة الغايات إلى العدالة الإجتماعية إلى الأمن إلى الطمأنينة إلى النبي وأي ثمرة جناها أولئك الذين قالوا نحن نعلم مصالحنا فلنكن أحراراً في علاقاتنا الجنسية لأننا نعلم مصالحنا هل علموا مصالحهم فعلاً الواقع أعلن بأعلى صوت أنه لن يعرفوا مصالحهم لأنهم لما ساروا في هذا الطريق الذي توهموه ووقعوا في الكمائن التي كانوا لا يعرفونها وحذرهم الله عز وجل منها وقعوا في مغبة الأمراض الوبيلة المذهلة وآخرها هذا المرض الذي أدخل الهلع في قلوب الغربيين جميعاً وقعوا في مغبة شتات الأسرة وضياعها وذوبان الأسر والمجتمعات الغربية المهددة اليوم بالاضمحلال كما يقول علماء الاجتماع وقعوا في مغبة افتقار المرأة إلى الحب الحقيقي وافتقارها إلى السكن وافتقار الرجل إلى السكن أسأل الله لي ولكم المغفرة والرحمة والحمد لله رب العالمين.